(أرَأيتَ) في القُرآنِ الكريمِ
بين الدلالةِ النّحويةِ والسّياقِ القُرآنيّ

م . د باسم محمد حسين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين ، وبعد ...

فإنّ الدلالة النحوية لأيّ تركيب والمعنى السياقي له ، كلاهما يدخل في ميدان البحث الدلالي ، فهناك اتصال مباشر بين دلالة المفردات اللغوية التي تستعمل في سياقات الكلام وبينها ذاتها إذا استُعمِلت في سياقات أخرى ، إذ إنّ السياق بقرائنه يمنح نوعاً من الدلالة الخاصة للمفردات التي تدخل فيه ، فيشير الى الغرض أو المسوّغ المضموني من استعمال هذه المفردة دون رديفتها أو نظيرتها ممّا هو بمعناها أو قريب منها .

وأداة التعبير التي يحاول البحث أن يفيد مما ورد من آيات كريمة بصددها هي (أرأيت) ، وليست الغاية من هذا البحث أن يحيط بدلالة هذا التركيب تماماً ، وإنما الالمام ببعض جوانبه ذي الدلالة السياقية اللغوية المتباينة ، والتأثير المراد في جوهر اختلافات النحاة المفسرين ، فهو تركيب كثير الاستعمال يفتح بمثله الكلام اذا ما اريد تحقيقه والاهتمام به ، فضلاً عن أنّه يظهر وجهاً من وجوه الاعجاز البياني للقرآن الكريم ، ومن ثم اخراج هذا التركيب من المعرفة ذات

الاطار النظري المسطور في مصنفات النحو الى ميدان التطبيق في نصوصه البليغة ذات القيمة العملية العالية التي تثبت خروج النظم القرآني عن المعهود من كلام العرب ، وان كان ذلك لا يتأتّى بالموازنة ، بل بالكشف عن الاعجاز الذي يتحقق في جعل أداة التعبير عن الذات البشرية صالحة للتعبير عن الذات الالهية .

والبحث على شاكلته الذي هو عليه تضمّن مبحثين مسبوقين بمقدمة ، وقد فصّل المبحث الاول التركيب بأجزائه ودراسة (التاء) و (الكاف) اذا كانت متصلة به ، وبين الدلالة النحوية لـ (أرأيت) ، فضلاً عن تعديته الى مفعول واحد أو مفعولين ، وعرض الثاني السياق القرآني لهذا التركيب في بعض الآيات الكريمة التي ورد فيها ، والتطبيق التحليلي له متماشياً مع دلالته النحوية ، إذ بين الاثنين تواشج وثيق الصلة يبرز الجانب الدلالي له .

واللهَ أسأل التوفيق .

الباحث

المبحث الاول / الدلالة النحوية لـ (أرأيت)

إنّ عدم فصل النحو عن معانيه – وهو ما تبناه النحويون القدامى في أصولهم– فتح الباب واسعاً لأن ينشأ في علم اللغة الحديث ما يسمى بـ (الدلالة النحوية) ، وهي الدلالة التي تستمد أساساً من نظام الجملة وترتيبها ، وتحصل " من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي او التركيبي " [١] ، وبذلك تكون الدلالة النحوية السبيل الذي يصل بين المتكلم والمتلقي لتحقيق الهدف المبتغى من إدراك المعنى ، وتراعي منشئ الكلام في ضوء امتلاكه الجانب الفني والحالة النفسية التي هو عليها عند النطق ، فعلاقة حال المنشئ بترتيب الكلام مهمة في فهم الوظيفة النحوية التي تنتج عنها الوظيفة الدلالية .

ومن هنا فالذي يتحرى عن وظيفة المفردة على اختلاف أنواعها في بيان دلالتها النحوية يجد أنّها تتأتّى من الجانب التطبيقي لها ، وبيان علاقتها بمعنى التركيب ، وفي ذلك محاولة للتوجه الى الكشف عن الجانب الدلالي النحوي للألفاظ.

وفي ضوء ذلك نجد أنّ السبب الذي يهدف اليه البحث هو دراسة تركيب لغوي من تراكيب القرآن نحوياّ وعلاقته بالسياق الذي يكشف – بلا شك – عن دلالته ، ومعلوم أنّ النحاة القدامى أولَوا التراكيب النحوية اهتماماً ملحوظاً – وبضمنها هذا التركيب – فاجتهدوا في تفكيرهم لتحديد بنية الكلام وفقاً لنظام نحوي متكامل ، ومن ثم الانتقال من الأصل الـ[٢]ذي بُنِي عليه ذلك النظام من الكلام الى محاولة توليد نماذج فرعية كثيرة قد تطرأ على الصورة الأصل من متغيرات

عارضة تقتضيها الصناعة النحوية ، والغاية من كل ذلك هو تأدية المعاني ودلالاتها ، ولا ننسى أنّ سيبويه حين قدم أوّل كتاب نحوي يحاول عقد الدلالة في ثلاث علاقات بين اللفظ والتركيب النحوي والمعنى في ضوء ربطه الوظائف النحوية التي تتحدد بحيّز تركيبي يحتوي على ثلاثة مكونات ، يمثل الاوّل فعلاً كلامياً ، ويمثل الثاني عاملاً نحوياً إعرابياً ، ويكون الثالث موضعاً اسنادياً ، وكل ذلك من أجل تحقيق الانعقاد بين الشكل التركيبي اللفظي (النحوي) والمعنى المقصود عند المتكلم [٣] . وهذا يعني أنّ الشيء الذي لا يؤدي وظيفة لا حاجة اليه في التركيب ، إذ إنّ التراكيب كما هو معروف ليس بعدد مفرداتها ، وإنّما بالمعاني التي تؤديها تلك المفردات .

والحق انّ الدلالة النحوية لهذا التركيب ـــــ أرأيت ـــــ يوجب علينا تحليله ، فطبيعته تتألف من همزة الاستفهام يليها الفعل (رأى) الذي التزم صيغة المضي ، وقد اتصلت به (التاء) المفتوحة أبداً إلّا مع الميم ونون النسوة ، فإنّها حينئذ تكون مضمومة فيقال : (أرأيتُم) و (أرأيتُن) ، وقد تتصل في الغالب بهذا التركيب (الكاف) التي تختلف باختلاف المخاطب من حيث العدد والجنس ، علماً أنّ ورود (أَرأَيتَ) بفروعه كافة كثيرٌ في القرآن الكريم ، فقد ذُكِر في أربعةٍ وثلاثين موضعاً [٤] .

وعند دراستنا لهذا التركيب ينبغي علينا الرجوع الى بيان دلالة عنصرين رئيسين فيه وهما (التاء) و (الكاف) بفروعها وتصنيفهما بكونهما اسمين أو حرفين ، قبل الحديث عن تعدي (أَرأَيت) و (أَرأَيتك) .

والنحاة بتصنيفهم لهما على خلاف ، فسيبويه يرى أنّ التاء هي علاقة الضمير المخاطب المرفوع مستدلاً بقول العرب : (أَرأَيتك فلاناً ما حاله ؟) وأمّا الكاف التي تلحق (أَرأَيت) فهي عنده حرف خطاب يفيد التوكيد والاختصاص وليست ضميراً ، إذ يقول : " وانما جاءت هذه الكاف توكيداً وتخصيصاً ... ومما يدلك على أنّه ليس باسم قول العرب : أَرأَيتك ما حاله ، فالتاء علامة المضمر المخاطب المرفوع ، ولو لم تلحق الكاف كنت مستغنياً .. فإنّما جاءت الكاف في (أَرأَيت) .. توكيداً ، وما يجيء في الكلام توكيداً لو طرح كان مستغنياً عنه كثير " [٥] . ودلالة ذلك أنّ (التاء) ضمير وهو فاعل ، وأنّ (الكاف) حرف خطاب زائد لا محل له من الاعراب ، يجوز حذفه كما يجوز اثباته ، إلّا أنّ اثباته يدل على التوكيد والتخصيص ، فيختلف تبعاً لاختلاف المخاطبين وهو ما يفهم من قول سيبويه . وقد عزا أبو حيان هذا الرأي الى البصريين ، فقال : " ومذهب البصريين أنّ (التاء) هي الفاعل ، وما لحقها حرف يدل على اختلاف المخاطب ، وأغنى اختلافه عن اختلاف التاء " [٦] وتبعه في عزوه هذا السيوطي [٧] .

ويبدو أنّ الخلاف منصبٌّ على حرفية (الكاف) واسميتها ، فالمبرد يؤكد حرفيتها ويرى أنّها " لو كانت اسماً استحال أن تعدّي (رأيت) الى مفعولين الأوّل هو الثاني والثاني هو الاوّل "[٨] ، وهذا ما ذهب اليه ابن جني أيضاً ، فالكاف عنده حرف خطاب لا موضع لها من الاعراب ، ويعلل عدم جعل الكاف اسماً وأنّها هي المفعول الأوّل ، وأنّ (زيداً) هو المفعول الثاني ، اذا قيل:(أَرأَيتك زيداً ما صنع؟) بقوله : " فذلك غلط ، من قبل أنّ السؤال إنّما هو عن زيد في صنيعه ، ولست تسأل عن المخاطب ما صنع ، وأيضاً فلو كانت الكاف هي المفعول الاول ، وزيد هو المفعول الثاني ، لجاز أن يقتصر على زيد ، فتقول: أَرأَيتك زيداً ، كما تقول :

ظننتك زيداً ، فحاجة زيد الى ما بعده يدلّ على أنّه هو المفعول الأول ، وأنّ ما بعده في موضع المفعول الثاني ، وأيضاً فإنّا نجد معنى : أَرأَيتك زيداً ما صنع ، وأرأيت زيداً ما صنع ، واحداً ، فدلّ هذا على أنّ الكاف للخطاب ، وليست مغيرة شيئاً من الإعراب . وأيضاً فلو كانت الكاف هي المفعول الاول ، وزيداً هو المفعول الثاني ، لوجب أن تقول للمؤنث : أَرأَيتِك زيداً ، فتكسر التاء ، كما تقول : ظننتكِ قائمةً ، ولوجب أن تقول للاثنين : أَرأَيتكما الزيدين ، كما تقول : ظننتما كما قائمين ، وكذلك في الجماعة المذكرة والمؤنثة فترك العرب هذا كله ، وإقرارهم التاء مفتوحة على كل حال يدلّ على أنّ لها وللكاف في هذا النحو مذهباً ليس لهما في غير هذا الموضع "[٩]

وفي ضوء ما ذهب اليه ابن جني يتراءى لنا أنّ الكاف لا يمكن أن تكون اسما حتى تكون في موضع المفعول الاول ، إذ إنّ السؤال فيه عن زيد والذي لا يمكن الاقتصار عليه؛ لعدم تمام الفائدة ، فضلاً عن أنّ المعنى واحد فيما اذا قيل : (أَرأَيت زيداً ما صنع) و (أَرأَيتك زيداً ما صنع) . ويرى الكسائي والفرّاء أنّ الكاف في (أَرأَيتك) اسم وأنّها في موضع نصب ، أمّا الكسائي فزعم أنّ التاء هي الفاعل وأنّ الكاف أداة الخطاب اللاحقة في موضع المفعول الأوّل ؛ لأنّ الأصل عنده : (أَرأَيت نفسك على غير هذه الحال) ، فهذا يثنى ويجمع ويؤنث فيقال : أَرأَيتماكما ، وأرأيتموكم ، وأرأيتن كنّ ، وكأنّه في الاصل قد أوقع الفعل على نفسه وسأله عنها ، ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فقالوا : (أَرأَيتكم زيداً ما صنع ، وأرأيتكن زيدًا ما صنع) فوحّدوا التاء وفتحوها وجعلوا الكاف مثنى وجمعاً بدلاً من التاء [١٠] . أمّا الفرّاء فيرى أنّ الكاف ضمير نصب استعير للرفع ، فهي في موضع الفاعل ، وأنّها

بمنزلة (الكاف) في (دونك) ، إذ عنده مجرورة لفظاً مرفوعة معنىً ،فيقول : " كما أنّك إذا قلت للرجل : دونك زيداً ، وجدت الكاف في اللفظ خفضاً ، وفي المعنى رفعاً ، لأنّها مأمورة " [١١] ، فالظاهر من قوله إنّ الكاف في نحو قولك : (أَرأَيتك) وان كان لفظها لفظ المنصوب إلّا أنّها مرفوعة المحل ، وهذا الذي ذهب اليه يدلّ على أنّ الفعل يتحول الى الكاف عن التاء ، فالتاء حرف الخطاب عنده التي تحولت بالاستعارة الى الكاف ، وفيه ما فيه من التكلّف ، إذ إنّه لو قيل : (أَرأَيتك زيداً ما حاله) تكون (أَرأَيت) متعدية الى(الكاف) والى (زيد) ، فيصبح لـ (أرأيت) اسمان ، وفيه يكون المعنى : أَرأَيت نفسك زيداً ما حاله ؟ فكأنّ له فاعلين ، وهذا محال لان يكون فاعلان لفعل واحد ، ولم يقبله المنطق النحوي ، فكان سبباً لردّ مذهبه من قبل كثير من النحاة القدماء [١٢] . ويبدو أنّ مكي بن أبي طالب أشدّ المعترضين على ما ذهب اليه الفراء في اسمية الكاف ، فهو يقول : " وقال الفراء لفظها لفظ منصوب ، ومعناها معنى مرفوع ، وهذا محال ، لأنّ التاء هي الكاف في (أَرأَيتك) فكان يجب ان يكون فاعلان لفعل واحد ، وهما لشيء واحد ، ويجب ان يكون قولك : (أَرأَيتك زيداً ما صنع ؟) معناه : أَرأَيت نفسك زيداً ما صنع ؟ لأنّ الكاف هو المخاطب ، وهذا الكلام محال في المعنى ، ومتناقض في الاعراب والمعنى ؛ لأنّك تستفهم عن نفسه في صدر السؤال ، ثم ترد السؤال عن غيره في آخر الكلام ، وتخاطب أوّلاً ، ثم تأتي بغائب آخر ، ولأنّه يصير ثلاثة مفعولين لـ (رأيت) وهذا كله لا يجوز " [١٣] .

والحق انّ الكاف حرف خطاب لا ضمير وهو ما ذهب اليه البصريون كما أشرنا . زيادة على أنّ دلالتها التي للتوكيد والتخصيص كانت دليلاً على إمكانية الاستغناء عنها ، فإنّ معنى : (أَرأَيتك زيداً ما صنع ؟) هو نفسه (أَرأَيت زيداً ما

صنع؟) وهذا لا يعني أنّ الاستغناء يختص بالحروف دون غيره ، فربما يستغنى عن اسم أو جملة بتمامها ، وإنّما لا يمكن أن يعوّضَ عنها بـ (اسم) يكون مفعولاً لـ(رأيت) وهي لا محل لها من الاعراب ، فضلاً عن أنّ الاسم الواقع بعد الكاف ليس هو الكاف ، يقول العكبري : " الكاف حرف للخطاب ، وليست اسماً والدليل على ذلك أنّها لو كانت اسماً لكان إمّا مجرورة ، وهو باطل إذ لا جارّ هنا، وإمّا مرفوعة ، وهو باطل أيضاً لأمرين : أحدهما : أنّ الكاف ليست من ضمائر المرفوع ، والثاني : أنّه لا رافع لها ، إذ ليست فاعلاً ، لأنّ التاء فاعل ولا يكون لفعل واحد فاعلان . وإمّا تكون منصوبة ، وذلك باطل من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أنّ هذا الفعل يتعدى الى مفعولين ، كقولك : أَرأَيت زيداً مافعل ؟ فلو جعلت (الكاف) مفعولاً لكان ثالثاً ، والثاني : أنّه لو كان مفعولاً لكان هو الفاعل في المعنى ، وليس المعنى على ذلك ، إذ ليس الغرض أَرأَيت نفسك ، بل أَرأَيت غيرك ، ولذلك قلت : أَرأَيتك زيداً ، و (زيد) غير المخاطب ولا هو بدل منه، والثالث : أنّه لو كان منصوباً على أنّه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع، والتأنيث في التاء ، فكنت تقول : أَرأَيتماكما وأرأيتم وكم وأرأيتنكنّ "[١٤] .

أمّا الحديث عن إفراد التاء وجعلها على لفظ واحد في جميع أحوالها ، فأظنّ أنّه يرجع لسببين : الأول : أنّ الكاف جُعِلَت للخطاب وليست التاء ، إذ لا يجوز إلحاق الكلمة بعلامتين للخطاب . الثاني : أنّ التغيير خُصّص بالكاف دون التاء ليدل على اختلاف أحوال الفاعل إفراداً وتثنيةً وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً .

وقد أرجع السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) سبب إفراد التاء في (أَرأَيتك) وفروعه الى دلالتها ، فهو يرى أنّ إفرادها استغناءً بتثنية الكاف وجمعها عن تثنية

التاء وجمعها ، وذلك للتفريق بين (أَرأَيت) التي بمعنى (أخبرني) والتي بمعنى (علمت)[١٥] ، وهذا السبب نفسه الذي يراه أبو علي الفارسي [١٦] ، على حين نجد رأي الفراء مخالفاً لما ذهب اليه في التاء والكاف ، إذ إنّ الأصل عنده في إفراد التاء هو لأنّه لا محل لها من الاعراب ، وأنّ الإعراب للكاف ، ولأنّ الكاف قامت مقام التاء فقد وحّدوها وجعلوا التثنية والجمع للكاف [١٧] .

أمّا علامة البناء في التاء فهو الفتح أبداً مع وجود الكاف على اختلاف المخاطب لكونها عُدّت اسماً خالصاً للدلالة على الجنس ، وهو ما يراه ابن جنّي ، إذ يقول : " وإنّما فُتِحَت التاء في كلّ حال ، واقتصر في علامة المخاطبين وعددهم الى ما بعد التاء في قولك للرجل : (أرأيتك زيداً ما صنع) وللمرأة (أَرأَيتك زيداً ما فعل؟) و أَرأَيتكما ، و أَرأَيتكم ، و أَرأَيتكن ، بفتح التاء البتة ، بأنّها أُخلِصت اسماً ، وجُعِلَت علامة الخطاب فيما بعد "[١٨] . وذهب ابن الشجري الى التأصيل في فتح التاء وإفرادها ، ذلك أنّ التذكير والتوحيد هما الأصل ، فالتذكير أصل للتأنيث ، والتوحيد أو الإفراد أصل للتثنية والجمع ، فهو يقول بعد أن ضرب أمثلةً لذلك : " وقد ثبت واستقر أنّ التذكير أصل للتأنيث ، وأنّ التوحيد أصل للتثنية والجمع ، فلمّا خصّوا الواحد المذكر المخاطب بفتح التاء ، ثم جرّدوا التاء من الخطاب ، فانفردت به الكاف في (أَرأَيتك و أَرأَيتك يا زينب والكاف وما زيد عليها .. ألزموا التاء الحركة الأصلية ، وذلك لما ذكرته لك من كون الواحد أصلاً للاثنين وللجماعة ، وكون المذكر أصلاً للمؤنث "[١٩] .

*** تعدّي (أرأيت) و (أرأيتك) :**

إنّ مهمة النحو هي دراسة العلاقات بين الكلمات داخل التركيب وتحديد وظيفة كل مفردة في تركيبها بما تؤديه وفقاً لارتباطها بما بعدها وما قبلها ، وليست مهمة النحو مجرد تحليل لغوي أو معرفة الوظيفة النحوية وحسب ، فهو محاولة للكشف عن الروابط بين اللفظ ومعناه ، ومزج الدراسة اللغوية من نحو وإعراب بالمعنى ، ومن هنا فإنّ الحديث عن تعدي (أَرأَيت) و (أَرأَيتك) متصل بدلالته ، وهو ما يراه النحويون ، فإن كانت في الأصل (رأيت) بمعنى (أبصرت) أو (عرفت) فهي متعدية الى مفعول واحد ، وإن كانت بمعنى (أخبرني) أو (علمت) فهي متعدية إلى مفعولين ، فقد ذهب سيبويه الى أنّه لابدّ بعد قولك (أَرأَيتك) من اسم منصوب هو المفعول الأول ، وما بعده جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني ، وأنّه لا يجوز رفع ما بعد (أَرأَيتك) على التعلّق ، اذ لا يجوز تعليقها كونها بمعنى (أخبرني)، و (أخبرني) لا يعلّق ، ومع أنّ (أَرأَيتك) بمعنى أخبرني فإنّها لا تقتصر على مفعول واحد مثلها ، بل تتعدى الى مفعولين شأنها في ذلك شأن (رأى) القلبية [٢٠] . ويرى الرضي الاستربادي أنّها متعدية الى مفعول واحد لأنّها منقولة من (أَرأَيت) بمعنى (أبصرت أو عرفت) كأنّه قيل : أأبصرته ، وشاهدت حاله العجيبة ، أو عرفتها ؟ أخبرني عنها [٢١] ، على حين نقل الصبّان (ت ١٢٠٦هـ) عن ابن هشام أنّ (أَرأَيت) هذه قد نقلت من (أَرأَيت) بمعنى (أعلمت) وليس بمعنى (أأبصرت) واستدلّ بذلك على أنّها متعدية إلى مفعولين [٢٢] .

ولابد من الاشارة هنا إلى أنّ تركيب (أَرأَيت) وإن تباينت معانيه بين (أعرفت) و (أأبصرت) و (أعلمت) فإنّه في الأصل جملة خبرية تحولت الى جملة انشائية ، وذلك بعد أن دخلت على جملته همزة الاستفهام ولازمتها وإن كانت تخلو

من معنى الاستفهام ، إذ لا تحتاج الى جواب ، ولكونها أصبح لها معنى جديد وهو (أخبرني) في الغالب ، ومعنى (أخبرني) الذي يدل على الامر يحتاج الى مفعولين ، ويبدو لنا أنّ الذي يجمع بين الاستفهام والأمر في تركيب (أَرأَيت) كونهما طلباً ، ولهذا عدّ الصبّان هذا الاسلوب من الإنشاء المنقول الى إنشاء آخر [٢٣] .

ويذهب أبو حيان مذهباً مغايراً في قضية تعدّي هذا التركيب بعد الاتكال على المعنى أيضاً ، فيقول في البحر المحيط : " وكون (أَرأَيت) بمعنى (أخبرني) هو تفسير معنى لا تفسير إعراب ؛ لأنّ (أخبرني) تتعدى بـ (عن) ، فتقول : أخبرني عن زيد ، و (أَرأَيت) تتعدى لمفعول به صريح والى جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني "[٢٤] . والظاهر أنّ كلامه فيه نظر ، إذ ليس في كل أحوال هذا التركيب أن يتعدى الى جملة استفهامية تكون في موضع المفعول الثاني ، وكثير من الآيات الكريمة لا تقرّ بذلك ، على أنّ الدلالة النحوية له تأتي تبعاً لتنوع التراكيب الواردة في سياقه ، والتي تتمثل بتحول الجملة الخبرية الى جملة انشائية بدخول همزة الاستفهام عليه ، فضلاً عن التنازع في العمل أو إبدال جملة من جملة ، أو وقوع الشرط وجوابه ساداً مسد المفعولين ، فهذه الضوابط سواء وُجِدَت واحدة منها أو اكثر هي التي تكشف عن دلالة (أَرأَيت) ، ومن ثم تُنبّه الى الافتراض الذي يبعث المخاطبين على التفكير ليشاركوا الرأي فيما يخبر به أو يدعو إليه أو ينهى عنه ، وهذا ما سنشير اليه في المبحث الثاني الذي لا يمكن أن ينفك عن الدلالة النحوية له.

المبحث الثاني / دلالة السياق القرآني لـ (أرأيت)

معلوم أنّ السياق من أبرز العوامل وأكثرها أثراً في تحديد المعنى طالما " أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية ، فيكون الفهم متوقفاً على النظر الى الكلام في ضوء السياق "[٢٥] ، وليس البحث بصدد الحديث عن النظرية السياقية التي ظهرت في الغرب على يد (فيرث) ، ولا كون أصولها تتشعب وتمتد في الدرس العربي القديم سواء عند النحاة أو المفسرين أو البلاغيين أو الأصوليين ، وإنّما هي محالة لتوظيف قرينة السياق في تحديد الدلالة النحوية والكشف عنها ، والذي نراه أنّ كلاهما وثيقا الصلة بحيث لا يمكن عزل أحدهما عن الآخر اذا ما أردنا تطبيقه على القرآن الكريم .

والحق انّ الغالب على استعمال هذا التركيب وروده في سياق التعجب ، والذي يدل على التعجب فيه هو دخول همزة الاستفهام ، إذ إنّها تخرج عن المعنى الحقيقي لها وهو طلب الفهم والاجابة ، إلى معانٍ أخرى مجازية ، وهذا ما صرّح به أغلب علماء البلاغة والتفسير ، ورأوا أنّه مركب لغوي يدل على التعجب [٢٦] ، ومنه تُفهَم الرؤية البصرية الحسية أو الإدراك والعلم وكلاهما في سائر استعمالاته في السياق القرآني ، مرتبطاً بأمر عظيم يحمل في طيّاته الدهشة والعجب .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ الكهف/٦٣، يقول الزمخشري : " (أَرأَيت) بمعنى أخبرني ، فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام ، فإنّ كلّ واحدٍ من (أَرأَيت) و (إذ أوينا) و (فإنّي نسيت الحوت) لا متعلق له ؟ قلت لما طلب موسى (عليه السلام) الحوت ذكر يوشع ما رأى منه ،

وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية ، فدهش وطفق يسأل موسى (عليه السلام) عن سبب ذلك كأنّه قال : أَرأَيت ما دهاني إذ أوينا الى الصخرة ؟ فإنّي نسيت الحوت ، فحذف ذلك "[٢٧] ، على حين ذهب الرازي الى أنّ هذا الكلام يجيء على ما هو المتعارف بين الناس ، فإنّه اذا حدث لأحدهم أمر عجيب ، قال لصاحبه : أَرأَيت ما حدث لي؟ كذلك ما ورد في النص الكريم ، كأنّه قال : أَرأَيت ما وقع لي منه إذ أوينا الى الصخرة ، فحذف مفعول (أَرأَيت)[٢٨] .

ونقل أبو حيّان عن الأخفش أنّ (أَرأَيت) قد تخرج الى معنى (أمّا) ويكون أبداً بعدها الشرط وظرف الزمان ، فقوله (فإنّي نسيت الحوت) معناه : أمّا إذا أوينا فإنّي نسيت الحوت ، أو تنبّه إذ أوينا ، وليس الفاء إلّا جواباً لـــ (أَرأَيت) ؛ لأنّ (إذ) لا يصح أن يُجازى بها إلّا مقرونة بـ (ما) بلا خلاف [٢٩] . وهذا المعنى قد نصّ عليه أبو علي الفارسي في معرض حديثه عن هذه الآية ، فهو يرى كأنّ المعنى : انتبه فإنّي نسيت الحوت ، ودليله الى إرادة هذا المعنى هو دخول فاء الجزاء أيضاً، ويذهب الآلوسي الى أنّ (رأى) إن كانت بصرية أو بمعنى (عرف) احتاجت الى مفعول واحد ، والتقدير : أأبصرت أو عرفت حالي إذ أوينا ، وفيه تقليل للحذف ، وذلك لا يخفى حسنه [٣٠] .

والظاهر أنّ هذه الآية تحكي لنا قصة موسى (عليه السلام) وقد وردت أحاديث توضّحها لنا ، منها ما جاء عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّه قال : حدثنا أبيّ بن كعب أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنّ موسى قام خطيباً في بني اسرائيل فسُئِل : أيّ الناسِ أعلم ؟ قال : أنا ، فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله اليه ، أنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك .. ثمّ انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون (عليه السلام) .. حتى اذا كان من

الغد ، قال موسى لفتاه : (آتِنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) الكهف/٦٢ .. قال له فتاه : (أَرأَيت إذ أوينا الى الصخرة فإنّي نسيت الحوت) قال : فكان الحوت سرباً ، ولموسى وفتاه عجباً .. "[٣١] ، فالسياق القرآني يشير الى أنّ يوشع (عليه السلام) علم باتخاذ الحوت سبيله في البحر عجباً ، ولم يعلم به موسى (عليه السلام) وبعد ما حدث من النصب والتعب واحضار الغداء ونسيان الحوت فليس هناك ما يوجب المصير الى أن تكون (أَرأَيت) علمية ، وهذا يعني أنّ ما ذهب اليه الزمخشري وغيره غير سديد ، فضلاً عن أنّ السياق القرآني وما جاء به الحديث يثبت أنّ (أَرأَيت) عرفانية وأنّها أيضاُ لا تخلو من دلالة التنبيه والتعجب اللذين يبرزهما الإستفهام ـــ وهو ما أشار إليه الأخفش – وتقدير الكلام : أعرفت وأبصرت حالي إذ أوينا الى الصخرة التي رقدنا عندها ، فانّي نسيت الحوت واتخذ سبيله في البحر عجباً ، وإلّا فإنّ الدلالة التي أخرجت (أَرأَيت) الى معنى (أمّا) أو (انتبه) أو(تنبّه) لم تخرجها عن بابها ولم تبعدها عن موضوعها .

وفي السياق ذاته قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ الشعراء/٢٠٥-٢٠٧ ، فقد تضمن السياق تقرير الله عزّ وجلّ لنبيّه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بمصير المجرمين الذين بطرتهم النعمة فأنستهم النقمة ، وهذا التقرير جاء مشوباً بتهديد هؤلاء المجرمين حين جاءهم العذاب ، فلم يُغنِ عنهم تمتعهم بمتاع الحياة الدنيا شيئاً وإن تطاولت بهم السنين ، مما يثبت أنّ (أَرأَيت) أفادت العلم ، وذكر أبو حيّان أنّها بمعنى(أخبرني) ، وأنّ المفعول الأول محذوف ، وجوّز أن يكون (ما كانوا يوعدون) مفعولاً أول ، وجملة (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) مفعولاً ثانياً [٣٢] ، وتبعه في ذلك أبو السعود والآلوسي [٣٣] .

وممّا ورد من هذه الآيات الكريمة قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ العلق/١١-١٤ ، إذ يذهب المفسرون الى أنّ هذه الآيات نزلت في أبي جهل [٣٤] ، واختلف علماء اللغة في المعنى بالضمير المستتر في (كان) و(كذّب) فضلاً عن دلالة (أرأيت) فذكر الفرّاء أنّ المعنيّ بـ (كان على الهدى) محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنّ المراد بـ (كذّب وتولى) أبو جهل [٣٥] ، وتبعه في ذلك الطبري والقرطبي [٣٦] ، أمّا الزمخشري والرّازي وأبو حيان فهم يرون أنّ المراد بالضمائر المستترة أبو جهل [٣٧] ، على أنّ معنى (أَرأَيت) لم يخرج بعيداً عن الدلالة الغالبة له وهو (أخبرني) ، والذي يبدو لي أنّ رأي الزمخشري ومن تبعه في أنّ الضمائر المستترة ترجع الى الناهي عن الصلاة وهو أبو جهل أرجح من الرأي الآخر ، لأنّ السياق القرآني ونسق نظمه يعضّده ، زيادة على الابتعاد عن انتشار الضمائر ، كما أنّ تكرار (أَرأَيت) تضمّنت التقرير والتعجب، وهذا ما يدل عليه تهديد أبي جهل ومن كان على شاكلته ممّن أعرض عن الدين وكذّب به ، فالتقرير لله تعالى ، والتعجب لنبيّه من حال أبي جهل في مجاوزته الحدّ وكذبه بالحق وتوليه عنه ، وجهله بأنّ الله يراه ويجازيه على أعماله.

والغريب في هذا التفسير أنّ المبرّد ذهب الى أنّ في الكلام حذفاً تقديره في قوله تعالى: (أَرأَيت ان كان على الهدى) كأنّه قال : أليس من ينهاه بضالّ ؟[٣٨] . وظاهر كلامه أنّ الضمير يعود على أبي جهل ، كما أنّ (أَرأَيت) تتضمن معنيين هما (أخبرني وتنبّه) لاسيّما وانّها تُلِيَت بتركيب شرطي بعده استفهام مجازي ظاهر (ألم يعلم) وهذا الاستفهام هو مطلوبها .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الاسراء/٦٢ ، يقول الزمخشري : " والمعنى : أخبرني عن هذا الذي كرَّمته عليّ ، لِمَ كرمته عليّ وأنا خيرٌ منه "[٣٩] ، وتبعه القرطبي وأبو السعود والألوسي [٤٠] ، وإن كانوا يرون أنّها بمعنى (أعلمني) ، كما ذهب اليه أبو عبيد فيما نسبه إليه ابن فارس [٤١] ، والذي يظهر أنّه ليس هناك اختلاف بين (أعلمني) و(أخبرني) في هذا السياق فهما متقاربان في المعنى ، وذهب ابن عطية الى غير ذلك فهو يرى أنّ (أرأيت) بمعنى (أتأملت) ونحوه ، وأنّ الكاف حرف خطاب ، ومبالغة في التنبيه وكأنّ المخاطِب بها ينبّه المخاطَب ليستجمع لما ينصّه عليه بعد [٤٢] . أمّا الرازي فذكر وجوهاً في دلالات الآية يكشفها السياق القرآني ، الأول : ما تقدّم به الزمخشري ، والثاني : أنّ (هذا) مبتدأ محذوف منه حرف الاستفهام ، و (الذي) مع صلته خبر تقديره : أخبرني أهذا الذي كرمته عليّ ؟ وذلك على وجه الاستصغار والاستحقار ، والثالث : (هذا) مفعول ، كأنّه قال على وجه التعجب والإنكار : أأبصرت أو علمت هذا الذي كرمته عليّ ؟ بمعنى لو أبصرته أو علمته لكان يجب ألّا تكرمه عليّ [٤٣] .

ويظهر من آراء المفسرين أنّ في الاية محذوفاً ، وهو إمّا همزة الاستفهام وإمّا (لِمَ كرّمته عليّ) وكلاهما مطلوب لتركيب (أرأيتك) ولا أجد في ذلك مسوغاً الى تصعيد تقديرات محذوفة ، فمن الممكن أن نعدّ (الكاف) حرف خطاب لا موضع له من الاعراب ، وتكون الرؤية بصرية ، فلا تطلب إلّا مفعولاً واحداً ، وهو (هذا الذي كرمت عليّ) ، أو نعد الكاف مفعولاً كما يراه الكسائي ، إذ يجوز في أفعال القلوب أن يكون فاعلها ومفعولها ضميرين لواحد ، نحو : علمتني مجتهداً [٤٤] ، وبهذا يكون الاعراب وفق ظاهر التركيب أولى بالقبول من تقدير

تلك المحذوفات ، يقول أبو حيان عن هذه الآية الكريمة : " ولو ذهب ذاهب الى أنّ (هذا) مفعول أول لقوله (أَرأَيت) بمعنى أخبرني ، والثاني الجملة القسمية بعده لانعقادهما مبتدأ وخبر قبل دخول (أَرأَيت) لذهب مذهباً حسناً ، إذ لا يكون في الكلام إضمار "[٤٥] .

ومن آيات هذا التركيب قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الانعام/٤٠ ، فبعد أن جوّز الزمخشري أن يكون (أغير الله تدعون) في موضع المفعول الثاني ، وأن يكون جواباً للشرط [٤٦] ، ذهب العكبري الى أنّ لمفعول (أَرأَيتكم) رأيين للعلماء ، الاول: أنّ المفعول محذوف تقديره : أَرأَيتكم عبادتكم الاصنام ؟ هل تنفعكم عند مجيء الساعة؟، والثاني : أنّ الفعل لا يحتاج الى مفعول لأنّ الشرط وجوابه قد حصّلا معنى المفعول [٤٧] ، وذكر أبو حيّان أنّ المفعول الأول محذوف والمفعول الثاني جملة (أغير الله تدعون) والربط بين المفعولين محذوف تقديره : أغير الله تدعون لكشفه ، والمعنى : قل أَرأَيتكم عذاب الله إن أتاكم أو الساعة إن أتتكم أغير الله تدعون لكشفه أو كشف نوازلها ؟ وقد حكم على ما ذكره العكبري بالضعف ، وأورد في جواب الشرط أربعة أقوال ، الأول : أنّه (أَرأَيتكم) ، والثاني : أنّه (أغير الله تدعون) ، والثالث : أنّه محذوف تقديره : من تدعون ؟ ، والرابع : أنّه محذوف تقديره: دعوتم الله ، ورُجّح حذفه لدلالة (أَرأَيتكم) عليه ، وتقديره : إن أتاكم عذاب الله فأخبروني عنه أتدعون غير الله لكشفه [٤٨] ، ويبدو من كلام أبي حيان أنّه ذهب في تفسير (أَرأَيتكم) تفسير معنى لا تفسير إعراب – وهو ما أشرنا إليه – وفي كونها بمعنى (أخبرني) وأنّ السياق القرآني الذي وردت فيه يكشف

عن دلالتها النحوية ؛ لأنّ (أخبرني) تتعدى بـــ (عن) ، و (أَرأَيت) تتعدى لمفعــول به صريح والى جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني .

والظاهر لي أنّ مبنى التركيب وإن كان على الاستخبار عن الرؤية قلبيــة كانت أو بصرية ، إلّا أنّ المراد به الاستخبار عن متعلقها في هذه الآيــة ، وهــو أخبرني ، فضلاً عن أنّ في هذا التركيب تنازعاً ، والتنازع يكون بــين (أَرأَيــتكم وأتاكم) وأنّ المتنازع فيه هو لفظ (العذاب) ، فكلّ من التركيبين يطلبه .

والذي ينعم النظر في السياق القرآني لهذا التركيب في هذه الآية الكريمــة والتي سبقتها حين اشتمل أسلوبها على الكاف في قوله (أَرأَيتكم) وتجرد هذه الآيــة عنها ، فإنّه يلمح أنّ زيادتها أعطت المبالغة في التنبيه وتأكيد الخطاب ، ذلــك أنّ تهديد المشركين لمّا كان في الآية السابقة أعظم ، إذ إنّه كان بإتيــان العــذاب أو الساعة ، أكّــد خطابهم بحرف الكاف ، ولمّا كان تهديدهم في هذه الآية أخف من ذلك لم يؤكّـــد به ، وإنّما اكتفى بضمير الرفع [٤٩] .

وقال الله تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) :﴿ قَالَ يَا قَــوْمِ أَرَأَيْــتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ هود/٨٨ ، وفيــه أنّ جــواب (أَرأَيتم) محذوف ، وإنّما لم يثبت لأنّ الاستعمال القرآني ينبّه علــى إثباتــه فــي القصّتين ويدلّ على مكانه ، ومعنى الكلام ينادي عليه ، إذ المعنى : أخبرونــي إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي ، وكنت نبيّاً على الحقيقــة ، أيصــحّ ألّــا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن المعاصي ؟ ومعلوم أنّ الأنبياء لا يبعثــون إلّا لذلك ، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري [٥٠] ، على حين ذهب الــرازي الــى أنّ السياق القرآني يدل على حذف جواب الشرط ، ذلك أنّ الله تعالى لمّا أتــاه جميــع

السعادات الروحانية وهي البيّنة ، والسعادات الجسمانية وهي المال والرزق الحسن فهل يسعه مع هذا الإنعام العظيم أن يخونَ في وحيهِ ، أو أن يخالفه في أمرِهِ ونهيهِ[٥١] . أمّا القرطبي فقد أورد ثلاثة احتمالات للمحذوف من قوله : (أَرأَيتم إن كنت على بيّنة من ربّي) ، الأول : أفلا أنهاكم عن الضلال ؟ والثاني : أأتبع الضلال ؟ والثالث : أتأمرونني بالعصيان في البخس والتطفيف وقد أغناني الله عنه ؟ [٥٢] .

وذهب أبو السعود الى أنّ جواب الشرط محذوف وتقديره : إن كنت من جهة ربّي ومالك أموري ثابتاً على النبوّة والحكمة ، ورزقني بذلك حسناً ، أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون ممّا لا خيرَ فيه ولا شرَّ وراءه [٥٣] ، وهذا الجواب – فيما أرى– هو الذي يستدعيه السياق ويعضّده النظم الكريم ؛ لأن خطاب شعيب (عليه السلام) جاء ردّاً على استخفاف قومه واستهزائهم به ، وفيه رفض ما ذهب اليه الزمخشري والرازي . كما أنّ الآية الكريمة تضمّنت الفعل (أَرأَيتم) من غير مفعول ، واحتوت شرطاً بلا جواب ، ولهذا كثرت تقديرات المفسرين للمحذوف ، وقد اكتفينا بما أوردناه ، فمنهم من قدّر المحذوف جواباً للاستفهام أو مفعولاً ثانياً له ، وهو يغني عن جواب الشرط ، ومنهم من عكس ، والراجح عندي أن نقدّر لـ (أَرأَيتم) مفعولاً ثانياً أو للشرط جواباً محذوفاً تقديره في الحالين على ما ارتضاه أبو السعود ، وهو : أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون ؟ والشرط بجوابه في هذه الحالة يسدّ مسدّ المفعولين ، إذ أدوات الشرط ممّا له الصدارة في الكلام (وكل ماله الصدارة يعلّق)[٥٤]، على أنّ دلالة السياق القرآني تذهب الى تقرير شعيب (عليه السلام) لقومه ونهيهم عمّا كانوا يتفوّهون به في شأنه ، متعجباً ممّا صدر عنهم .

وفي التركيب ذاته يقول تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ فاطر:٤٠ ، إذ يبدو أنّ علماء النحو والتفسير لم يختلفوا في دلالة (أَرأَيت) وحسب ، بل انصرف اختلافهم في إعراب (أروني) ، فذكر الزمخشري أنّه بدلٌ من (أَرأَيتم)[٥٥] ، وتبعه في ذلك أبو السعود والصافي والألوسي [٥٦] ، وخالفهم أبو حيان لعدم دخول أداة استفهام عليه ؛ ولأنّ البدل على نية تكرار العامل فهو لا يتأتّى هنا ، ورأى أنّ جملة (أروني) معترضة ، و(ماذا خلقوا من الأرض) في موضع المفعول الثاني لفعل الرؤية (أَرأَيتم)[٥٧] . ويبدو أنّ آراءهم هذه لا تخرج عمّا استقرّ في أذهانهم من أنّ (أَرأَيتم) يحتاج الى مفعولين ، ولو أنّهم رجعوا الى ما أصّلوا في النحو من أنّ هذا الفعل إذا كان بصرياً أو بمعنى (عرف) تعدى الى مفعول واحد ، لقضي الأمر واستراحوا ، ولا يخفى أنّ أمامنا جملتين مستقلتين بُنيت الثانية وهي المبدوءة بفعل الأمر على الأولى وهي المبدوءة بهمزة الاستفهام ، وقد أفادت أمر الله نبيَّهُ أن يقرّر المشركين ويوقفهم على عبادتهم شركاءهم الذين لا يستحقون شيئاً من ذلك ، فيعجزهم عن طريق التوبيخ لهم ، وهو ما يبرزه السياق القرآني ، ويؤيّد هذا التوجيه أنّ فيه تأسيساً ، وهو أولى من التأكيد الذي يفهم من توجيه الجمهور ، والله أعلم .

ومثيل الآية السابقة قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴾ النجم/١٩-٢١ ،ففي قوله (أفرأيتم) خطاب لقريش ، وتبدو أنّها من رؤية العين ، لأنّه أحال على أجرام مرئية ، ولو كانت (أَرأَيت) التي هي استفتاء لم تتعدَّ ، وهذا ما ذهب إليه ابن عطية [٥٨] . ورأى الرازي أنّ (الفاء) للتعقيب، وأنّ قولَهُ (أفرأيتم اللات والعزّى) إشارة الى إبطال

قولهم بنفس القول ، كما أنّ قوله (الأخرى) فيه ما فيه من الذمّ والقبح ؛ لأنّ معناه : ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة [٥٩] ، وعن الطبرسي أنّ دلالة (أفرأيتم) جاءت بمعنى : أخبروني عن هذه الأصنام هل ضرّت أو نفعت أو فعلت ما يوجب أن تُعدل بالله ، فحذف لدلالة الكلام عليه [٦٠] ، أمّا أبو حيّان فذكر أنّ (أفرأيتم) بمعنى : أخبرني ، وأنّ مفعولها الأول (اللات) وما عطف عليها ، ومفعولها الثاني جملة (ألكم الذكر وله الأنثى) ، وردّ ما تقدم من ابن عطية ، واشار الى أنّه لم يطالع ما قاله الناس في (أَرأَيت) للاستفتاء على اصطلاحه [٦١] . وذهب أبو السعود الى أنّ الهمزة للإنكار ، والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى ، وهي قلبية ، ومفعولها الثاني محذوف لدلالة سياق الحال عليه ، فالمعنى : أ عُقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله في ملكه وملكوته وإحكام قدرته ونفاذ أمره ، رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى ، ويشهد به قوله تعالى : " ألكم الذكر وله الأنثى " شهادة بيّنة ، فإنّه توبيخٌ مبنيٌّ على التوبيخ الأول [٦٢] .

والذي يبدو لي أنّ اختلاف العلماء في فعل الرؤية بين أن يكون بصرياً أو يكون قلبياً ، ثم اختلافهم في أنّ هذا القلبيّ أن يكون مفعوله الثاني جملة (ألكم الذكر وله الأنثى) أو أن يكون محذوفاً ، يجعلنا على قناعة في أنّ هذه الآراء مبنية على الاحتمالات ، ولكي نتحاشى التقدير نرى أنّ في (أفرأيتم) معنى (أأبصرتم أو أعرفتم) ؛ لأنّ عدم التقدير أولى ما أمكن من التقدير ، فضلاً عن أنّ دخول همزة الاستفهام الأولى على فعل الرؤية الذي بمعنى البصر والمعرفة منح السياق القرآني فائدة التقرير المشوب بالتعجب والتوبيخ ، وأنّ دخول همزة الاستفهام الثاني أفاد الإنكار وتوبيخهم على ترجيح جانبهم على جانب الله تعالى .

ومن سياقات هذا التركيب ما نتلمّسهُ في هذين النصّين الكريم ، الأول : قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ الملك/٣٠، والثاني : قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الزمر/٣٨ ، فإنّنا نجد أنّ للسياق القرآني أثرَهُ في بيان الدلالة النحوية ، ممّا يمنح العلاقة القائمة بين الدلالتين السياقية والنحوية صلةً وثيقةً ، فوجود (الفاء) في التركيب الشرطي الذي يأتي بعد (أَرأَيت) وعدم وجودها ، يعطي المعنى الدلالي واحتمالاته لفعل الرؤية جانباً بارزاً ، فضلاً عن أنّ وجود (الفاء) في هذا التركيب يجعل ما بعدها جواباً للشرط دالاً على المفعول الثاني كما في الآية الكريمة الأولى ، وتجرّد (الفاء) يجعل ما بعدها في موضع المفعول الثاني ، ويكون جواب الشرط محذوفاً كما في الآية الكريمة الثانية ، وتظهر مراعاة السياق القرآني لجملتي الاستفهام والشرط في ضوء وجود (الفاء) بجملة الاستفهام أو تجرّدها عنه، وفي ذلك ردٌّ على ما ذهب إليه أبو حيان ، إذ إنّه رفض أن تكون الجملة الاستفهامية جواباً للشرط ، ورأى أنّ جواب الشرط إذا كان جملة استفهامية بالحرف كانت بـ (هل) المسبوقة بالفاء [٦٣] ، والحق انّ الآية الثانية تقول خلاف ذلك ، فقوله تعالى ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾الزمر/٣٨ ، نجد أنّ الاستفهام بـ (هل) غير مقترن بالفاء وهو جواب الشرط ، وقد يكون هذا الحكم متماشياً مع جواب الشرط المصدر بهمزة الاستفهام فإنّه لا يدخل عليه الفاء ، وهو ما ذهب إليه الرضي الاستربادي ، لجواز دخول الهمزة على أداة الشرط فيقدر تقديمها على الأداة، نحو: إن أكرمتك أ تكرمني ؟ والتقدير : أ أن أكرمتك تكرمني [٦٤] ، ولا ريبَ أنّ عدم التقدير هو الأصل ، كما أنّ رأي الرضي فيه توافقٌ كبيرٌ مع ما جاءت به الآيات بصدد هذا التركيب .

وفي ضوء السياق القرآني لهذا التركيب وما تبعه من استفهام مقترن بالفاء أو متجرّد عنه نجد أنّ معنى (أَرأَيتم) أخبروني ، وإن كان أبو علي الفارسي يرى فيه معنى التنبيه ، إذ يقول في معرض حديثه عن الآية الأولى: " كأنّه قال : انتبهوا فمن يأتيكم بماء معين "[٦٥] ، وهذا الاحتمال وارد جداً مع أنّ معنى (أخبروني) أكثر رجحاناً ، كما أنّ دلالة (أَرأَيتم) في الآية الثانية المتجردة عن (الفاء) لا تخلو من معنى (أأبصرتم أو عرفتم) والله اعلم .

الخاتمة :

هذه رحلة قد تكون سريعة في الحديث عن التركيب القرآني (أَرأَيت) سعى الباحث فيه الى تحليل أجزائه ودراسته في ضوء دلالته النحوية ، وبيّن أنّه إذا ما اتصلت به الكاف كانت حرفاً تفيد التوكيد والاختصاص والمبالغة على حثّ المخاطب على التفكير ليشارك المتحدث الرأي فيما يخبر به أو يدعو اليه أو ينهى عنه ، ووجد الباحث أنّ تعدّي (أَرأَيت) مرتبط بدلالته وفقاً لأصل معناه فيما اذا كان بمعنى (أبصرت أو عرفت) أو اذا كان بمعنى (أخبرني أو علمت) ، وبالتالي فإنّ هذا التركيب وإن تباينت معانيه فالأصل فيه أنّه جملة خبرية تحولت الى جملة إنشائية بعد أن لازمته همزة الاستفهام التي لا تحتاج الى جواب وإنّما تضمّنت معنى التعجب في أغلب حالاتها أو معنى الإنكار أحياناً .

وتوصّل الباحث الى أنّ السياق القرآني الذي ورد فيه هذا التركيب وثيق الصلة بدلالته النحوية التي تبرز تبعاً لتنوع التراكيب الواردة في ضوء تحول الجملة من خبرية الى إنشائية أو التنازع في العمل أو إبدال جملة من جملة أو وقوع الشرط وجوابه ساداً مسد مفعولين ، بالرغم من اختلاف الجواب الذي يرد في سياقه ، بين أن يكون جملة استفهامية أو جملة جواب شرط أو خالية منهما ، كل ذلك يفتح الباب واسعاً أمام الباحثين للتحرّي عن سائر استعمالاته بضمن السياق القرآني الذي يرتبط غالباً بأمرٍ عظيمٍ يحملُ في طيّاته دلالة العجب والدهشة .

والحمد لله رب العالمين

* **مظان البحث** :

- ارتشاف الضرب / أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥هـ) تح: مصطفى أحمد النمّاس ، دار المدني ، جدة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم / لأبي السعود محمد بن محمد العامري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
- إعراب القرآن / أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحّاس (ت: ٣٣٨هـ) تح: زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- الأمالي الشجرية / أبو السعادات ضياء الدين هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسيني (ت: ٥٤٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . ت) .
- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن / عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ، تح: ابراهيم عطوة عوض ، منشورات مكتبة الصادق ، طهران ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ .
- البحر المحيط / محمد بن يوسف أبو حيّان الاندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- تفسير الصافي /المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت:١٠٩١ه) ، صحّحه وقدّم ته وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٩ ه /٢٠٠٨ م

- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب / فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي (ت: ٦٠٤هـ) ، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٩م .
- جامع البيان عن تأويل القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك / محمد بن علي الصبّان (ت: ١٢٠٦هـ) ؟، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د . ت) .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم / محمد عبد الخالق عضيمة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٩٧٢م .
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون / أحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) ، تح: أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م .
- سرّ صناعة الإعراب / لابن جنّي أبو الفتح بن عثمان (ت: ٣٩٢هـ) ، تح: حسن هنداوي ، دمشق ، دار القلم ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م .

- شرح الرضي على الكافية / للاستربادي ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ، نشر مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- صحيح البخاري / الامام شيخ الحفاظ البخاري محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة (ت: ٢٥٦هـ) ، تح: طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الايمان بالمنصورة ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي / د. هادي نهر ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ .
- علم الدلالة .. دراسة نظرية تطبيقية / د. فريد عوض حيدر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ .
- الكتاب / لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجليل ، بيروت ، ط١ ، (د. ت) .
- الكشاف / أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (د . ت) .
- مجمع البيان لعلوم القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) ، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع ، طهران ، ايران ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- مجمل اللغة / أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ) ، تح: زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تح: المجلس الأعلى بفاس ، مكتبة ابن تيمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
- المسائل الحلبيات / أبو علي الحسين بن أحمد الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) ، تح: حسن هنداوي ، دار القلم – دمشق ، دار المنارة – بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) ، تح: ياسين محمد السوّاح ، دار المأمون للتراث ، (د. ت) .
- معاني القرآن / لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت: ٢٠٧هـ) ، تح: فاتن محمد خليل اللبون ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
- معاني القرآن وإعرابه / الزجّاج ، أبو اسحاق ابراهيم بن السري (ت: ٣١١هـ) ، تح: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / لجمال الدين بن هشام الانصاري (ت: ٧٦١هـ) ، تح: د. مازن المبارك ، محمد علي حمدالله ، راجعه : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ، ط١ ، ١٣٧٨هـ .
- المقتضب / أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٦هـ) ، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) .

- نظرات في اللغة / محمود رضوان – بني غازي ، ط١ ، ١٩٧٦م .
- همع الهوامع / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تح: عبد العال سالم مكرم ، وعبد السلام محمد هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م .

الهوامش

.

(١) علم الدلالة .. دراسة نظرية تطبيقية / ٤٣ .

(٣) ينظر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي / ٨٤ .

(٤) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – (رأى) / ٣٥٧-٣٥٨ ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم (عضيمة) ٦٢١/١ .

(٥) الكتاب ١/ ٢٤٥ .

(٦) البحر المحيط ١٢٥/٤ ، وينظر : ارتشاف الضرب ٥١٠/١ .

(٧) ينظر : همع الهوامع ٢٦٥/١ .

(٨) المقتضب ٢٧٧/٣ .

(٩) سر صناعة الاعراب ٣١٩/١ .

(١٠) ينظر : البحر المحيط ١٢٥/٤ ، ارتشاف الضرب ٥١٠/١ ، مغني اللبيب ٢٤٠/١ .

(١١) معاني القرآن للفرّاء ٣٣٣/١ .

(١٢) ينظر: معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢٤٦/٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٦٦/٢ و ٤٣٢ ، الكشاف ١٣/٢.

(١٣) مشكل اعراب القرآن ٢٦٦/١ .

(١٤) إملاء ما منّ به الرحمن ٢٤٢/١ .

(١٥) ينظر : الكتاب ، وتعليق السيرافي عليه ٢٣٩/١-٢٤٠ .

(١٦) ينظر : المسائل الحلبيات /٧٥ .

(١٧) ينظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣٣ .

(١٨) سر صناعة الإعراب ٣١٢/١ .

(١٩) الأمالي الشجرية ٢٩٩/١-٣٠٠ .

(٢٠) ينظر : الكتاب ٢٣٩/١-٢٤٠ .

(٢١) ينظر : شرح الرضي على الكافية ١٦١/٤-١٦٢ .

(٢٢) ينظر : حاشية الصبان ١٤٠/١ .

(٢٣) ينظر : نفسه .

([٢٤]) البحر المحيط ١٢٣/٤ .
([٢٥]) نظرات في اللغة /٤٦٤ .
([٢٦]) ينظر : التفسير الكبير للرازي ٢٣٤/١٢ ، الكشاف ٧٣٣/٢ ، البحر المحيط ١٣٨/٦ .
([٢٧]) الكشاف ٧٣٣/٢ .
([٢٨]) التفسير الكبير ١٤٨/٢١ .
([٢٩]) ينظر : البحر المحيط ١٣٨/٦ ، الدرّ المصون ٦٢٣/٤ .
([٣٠]) ينظر : روح المعاني ٣١٧/١٥ .
([٣١]) رواه البخاري في باب (كتاب العلم) رقم / ١٢٢ .
([٣٢]) ينظر : البحر المحيط ٤١/٧ .
([٣٣]) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٦٦/٦ ، روح المعاني ١٣٠/١٩-١٣١ .
([٣٤]) ينظر : جامع البيان ٣٠ / ٢٥٣ .
([٣٥]) ينظر : معاني القرآن للفرّاء ٢٧٨/٣ .
([٣٦]) ينظر : جامع البيان ٢٥٢/٣٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٨٤/٢٠.
([٣٧]) ينظر : الكشاف ٧٧٧/٤ ــ التفسير الكبير ٢١/٣٢ ، البحر المحيط ٤٨٩/٨ .
([٣٨]) ينظر : المقتضب ٢٠٦/١ .
([٣٩]) الكشاف ٦٧٧/٢ .
([٤٠]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨٦/١٠ ، إرشاد العقل السليم ١٨٣/٥ ، روح المعاني ١٠٩/١٥ .
([٤١]) ينظر : مجمل اللغة ٤١٢/١ .
([٤٢]) ينظر : المحرر الوجيز ٣١٧/١٠ .
([٤٣]) ينظر : التفسير الكبير ٤/١١-٥ .
([٤٤]) ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢٧٩/٢ .
([٤٥]) البحر المحيط ٥٥/٦ .
([٤٦]) ينظر : الكشاف ٢٢/٢-٢٣ .
([٤٧]) ينظر : إملاء ما منّ به الرحمن ٢٤٢/١ .
([٤٨]) ينظر : البحر المحيط ١٢٩/٤-١٣٠ .
([٤٩]) ينظر : البحر المحيط ١٣٥/٤ ، الدرّ المصون ٦٦/٣ .
([٥٠]) ينظر : الكشاف ٤٢٠/٢ .
([٥١]) ينظر : التفسير الكبير ٤٦/١٨ .
([٥٢]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٦٠/٩ .
([٥٣]) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٣٣/٤-٢٣٤ .
([٥٤]) ينظر : حاشية الصبّان ٣١/٢ .
([٥٥]) ينظر : الكشاف ٦١٧/٣ .
([٥٦]) ينظر : إرشاد العقل السليم ١٥٥/٧ ، تفسير الصافي ١٨٤/٣ ، روح المعاني ٢٠٣/٢٢ .

([٥٧]) ينظر : البحر المحيط ٣٠٢/٧ .
([٥٨]) ينظر : المحرر الوجيز ٢٦٥/١٥ .
([٥٩]) ينظر : التفسير الكبير ٢٩٥/٢٨-٢٩٦ .
([٦٠]) ينظر : مجمع البيان ٣٢٩/٩ .
([٦١]) ينظر : البحر المحيط ١٥٨/٨-١٦٠ .
([٦٢]) ينظر : إرشاد العقل السليم ١٥٨/٨ .
([٦٣]) ينظر : البحر المحيط ١٣٠/٤ .
([٦٤]) ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢٦٣/٢ .
([٦٥]) المسائل الحلبيات / ٧٨

ABSTRACT

The research is a quick journey with the Quranic construct 'ara'aita' (have you seen? / can you see). There is an attempt to analyze and study parts of this construct in the light of its grammatical sense. It has been shown that when the construct is prefixed with the letter 'kaf' (k), then it gives the sense of emphasis, specialty and exaggeration such that to urge the addressee to think and share the speaker thinking. The researcher found out that for this verb to be transitive depends on its original sense which is 'have you seen, do you know, tell me'.

The researcher concluded that the Quranic context of this construct is highly related to its grammatical meaning which shows up according to the degree of its constructs' variation. This opens the door wide for the researchers to investigate its uses within Quranic context which is, in turn, often relevant to a great issue that gives the sense of wonder and exclamation.